Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.Conf-2019-26

مثبتات النظام الاجتماعي "رؤية مقاصدية"

هيمن عزيز برايم

قسم التربية الدينية ، كلية التربية، جامعة كوية

Article Info

Received: May , 2019

Accepted: October , 2019

Published : March, 2022

Keywords

النظام ، المثبت ، الاجتماع ، المقاصد

Corresponding Author

heminazez@gmail.com

المستخلص :

الانسان يحتاج الى نظام ، ينظم به الاحوال كافة على المستويات التي تتكون منها الحياة ، منها الحالة الاجتماعية ، وذلك لكي يرى الانسان حصاد تربيته واخلاقه وعلمه داخل اسرته الصغيرة ، وهي بمثابة حكومة ودولة صغيرة ، وهذه الحالة تحتاج الى مثبتات لارساء دعائم هذا النوع من النظام ، لان الالتزام بنظام اجتماعي والاستقامة عليه يحتاج الى ما يربط بين الانسان وبين النظام ، و الى ما يطئمن اليه القلوب ويستروح به النفوس .

لذا ذكر الله تعالى المثبتات للنظام الاجتماعي في القرآن الكريم على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع هذة الوريقات محاولة لتفسير واستخراج بعضاً من تلك المثبتات الاجتماعية تحت اسم " مثبتات النظام الاجتماعي رؤية مقاصدية " ، حتى تكون عملية الالتزام بها عملية ناجحة ومستمرة الى تحقيق الغايات والمقاصد الأساس .

قام الباحث بتقسيم بحثه على مبحثين ، حيث تطرق في المبحث الأول الى تعريف اهم المصطلحات الواردة في العنوان . وفي المبحث الثاني ناقش الباحث بعض من تلك المثبتات التي تثبت بها النظام الاجتماعي من رؤية مقاصد الشريعة الاسلامية .

المقدمة

من المعلوم أن الله تعالى لما خلق الانسان ، عارضته الملائكة الكرام بأن هذا المخلوق يسفك الدماء ويفسد الاشياء ، لكن الله تعالى كشف عن سر خلقه ، حيث قال : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة 30) ، أي العلم بما يكون وما كان بيد الله تعالى ، علم الله بان الانسان لما خلق ، أرسل له الأصفياء من الناس بشيراً ونذيراً ، يبين عن طريقهم طريق الهداية والحياة ، ويعطيهم قوة الابداع والامتاع ، ويهب لهم العقل والروح ، مستيعناً بهما ، وسيراً بهما في الارض ، تفكراً و تدبراً وتعقلاً . لكل ما يضبط بها حياة الانسان ويجعل منه كائناً يثق بأفكاره وآماله ويساعده ان يبني من ذاته انساناً سوياً ، ومن اسرته اسرةً سعيدة ، ومن مجتمعه مجتمعاً فريداً .

بناءاً على ما سبق ، ان بني آدم يحتاج الى نظام ، ينظم به الاحوال كافة ، منها الحالة الاجتماعية ، كي يرى الانسان حصاد تربيته واخلاقه وعلمه داخل اسرته الصغيرة ، وهي بمثابة حكومة ودولة صغيرة ، وهذه الحالة تحتاج الى مثبتات وارساء دعائم هذا النوع من النظام ، لان الالتزام بنظام اجتماعي والاستقامة عليه يحتاج الى ما يربط بين الانسان وبين النظام ، و الى ما يطئمن اليه القلوب ويستروح به النفوس .

لذا ذكر الله تعالى المثبتات للنظام الاجتماعي في القرآن الكريم على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع ، هذا البحث محاولة لتفسير واستخراج بعضاً من تلك المثبتات الاجتماعية ، حتى تكون عملية الالتزام بها عملية ناجحة ومستمرة الى تحقيق الغايات والمقاصد الاساس .

قام الباحثان بتقسم بحثهما على مبحثين ، حيث تطرق في المبحث الاول الى تعريف اهم المصطلحات الواردة في العنوان . وفي المبحث الثاني ناقش الباحثان بعض من تلك المثبتات التي تثبت بها النظام الاجتماعي من رؤية مقاصد الشريعة الاسلامية .

المبحث الاول : التعريف والمفاهيم .

المطلب الاول : تعريف مفاتيح العنوان .

مثبتات :

أصله من ثَبَتَ الشيءُ يَثْبُتُ ثَباتاً وثُبوتاً فهو ثابتٌ وثَبِيتٌ وثَبْتٌ ، وأَثْبَتَه هو ، وثَبَّتَه بمعنىً وشيء ثَبْتٌ : ثابتٌ . ويقال للجَرَاد إذا رزَّ أَذْنابَه ليَبِيضَ : ثَبَتَ وأَثْبَتَ وثَبَّتَ. ويقال : ثَبَتَ فلانٌ في المَكان يَثْبُتُ ثُبُوتاً ، فهو ثابتٌ إذا أَقام به . وأَثْبَتَه السُّقْم إذا لم يُفارِقْهُ . وثَبَّتَه عن الأَمْر كَثَبَّطه . وفرس ثَبْتٌ : ثَقِفٌ في عَدْوِه . ورجل ثَبْتُ الغَدْرِ إذا كان ثابِتاً في قتال أَو كلام ، وتَثَبَّتَ في الأَمْر والرَّأْي ، واستَثْبَتَ : تَأَنَّى فيه ولم يَعْجَل . واسْتَثْبَتَ في أَمْرِه إذا شاور وفحَصَ عنه . وأَثْبَتَ حجته : أَقامها وأَوْضَحها ، وقولٌ ثابتٌ : صحيح ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ (ابراهيم 27) وكلُّه من الثَّبات[1] .

ويفهم من المعاني اللغوية للكلمة ان " المثبت " عبارة عن كل ما أقرَّ به الشيء وثبَّته ونقّده ، بحيث يجعله محكماً هادفاً الى الغاية المرجوة منها .

النـظام :

النظام في اللغة :

يقال : نظم اللؤلؤ، ينظمه ، ونظَّمه نظامـاً ونظماً ونظَّمه ؛ بمعنى : ألفه وجمعه في سلك واحد فانتظم وتنظَّم . والنظام : كل خيط نظم به لؤلؤ ونحوه، ويطلق على العقد من الجوهر والخرز ونحوهما، وجمعه نظم . وتطلق أنظمه ، وأناظيم ، ونظم : على السيرة والهدي والعادة ، ونظام الأمر : أي قوامه وعماده. والنظام : الطريقة ؛ يقال ما زال على نظام واحد، والانتظام : الاتساق[2] .

وخلاصة معنـى النظام في اللغة ومادته : أنَّه يدل على التأليف والجمع والترتيب والتنسيق .

النظام في الاصطلاح:

مما ورد في تعريف النظام في الاصطلاح هو : مجموعة المبادئ ، والتشريعات ، والأعـراف وغير ذلك من الأمور التي تقوم عليها حياة الفرد و المجتمع و الدولة ، وبها تنظم أمورها .

وقد يطلق النظام ويراد به معنى عاماً فيكون : " أحد مفاهيم العقل الأساسية ، ويشمل الترتيب الزماني والترتيب المكاني ، والترتيب العددي ، والسلاسل ، والعلل ، والقوانين والغايات ، والأجناس ، والأنواع والأحوال الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية والجماعية" .

وتحت هذا المعنى العام يكون النظام في المنطق الرياضي ، والنظام الطبيعي ، والنظام الاجتماعي والنظام الأخلاقي.

وقد يطلق النظام ويراد به معنى خاصاً فيقال : نظام العمال ، ونظام المحامين ، ونحوهما ويطلق على جميع هذه الأنظمة (نُظُم)[3].

الاجتماعي :

من مصدر اِجْتَمَعَ ، وأصله من جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمعه وأجمعه فاجتمع ، والاجتماع : إلتقاء . و الاجتماع هو : التقاء أفراد في مكان وزمان معيّنين : إجتمعَ / اجتمعَ بـ يجتمع ، اجتماعًا ، فهو مُجتمِع ، والمفعول مُجتمَعٌ به ، اجْتَمَعَ : مطاوع جَمَعَهُ . اجتمع القومُ : انضمَّ بعضُهم إلى بعض ، اتّحدوا واتَّفقوا ، اجتمع به / اجتمع معه : أي التقى به أو قابله[4].

و تشير كلمة " اجتماعي" إلى العـالم حولنا وإلى تفاعلات الناس وتعايشهم مع بعضهم البعض ويشار إلى الإنسان عادة بأنه حيوان اجتماعي ، بمعنى أنه لا يمكن أن يعيش منعزلاً عن الآخرين .

ومنه عِلْمَ الاجْتِمَاعِ : و هو عِلْمٌ يَدْرُسُ العَلاَقَاتِ القَائِمَةَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَنْظِمَتِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ ، والظاهرات الناشئة داخل الجماعات وتكتلاتها[5].

النظام الاجتماعي :

عبارة عن مجموعة من البنى والمؤسسات والممارسات الاجتماعية المترابطة ، والتي تحمي و تحافظ و تقوي كل ما يؤدي الى بناء العلاقات الاجتماعية و صياغة الانسان داخل المجتمع[6].

بناء على ما سبق انه لا بد لكل مجتمع من نظامٍ عام ، ينضوي تحته أفرادُ هذا المجتمع ، يحدِّد حرياتِهم ، وينظم العلاقةَ بينهم ويُجازي المعتدي منهم ، ويُثيب المحسن ، وتكون له مجموعة من القواعد والأعراف ، تحمد أو تذم عند أفراده ، ولا شك أن هذه الأمور تُبْنَى على أساسٍ يكون بمنزلة القاعدة لها.

أما النظام الاجتماعي الاسلامي عبارة عن المباديء والقواعد التي تنظم بها الحالات الاجتماعية داخل منظومة معينة وفق الادلة الشرعية من القرآن والسنة النبوية[7].

المطلب الثاني : مفهوم المقاصد ومحتواها .

أولا : مفهوم المقاصد لغة واصطلاحاً .

المقاصد في اللغة : المقاصد : جمع تكسير من مصدر مقصد، وهو مشتق من فعل قصد يقصد قصدا والقصد عندما يطلق يراد به في اللغة معان متعددة منها : استقامة الطريق ، والعدل ، والاكتناز ، والتوسط والاعتدال . وأما المقصد فهو مكان للقصد[8].

ثانيا : المفهوم الاصطلاحي للمقاصد.

عند تتبعنا لما كتب في المقاصد الشرعية عن أئمة هذا العلم من الأصوليين و الفقهاء ، لا نجد لهم تعريفا واضحا يعبر عن مفهوم المقاصد و المراد منها، رغم استعمالهم لهذا الاصطلاح في كتاباتهم ، و في سياقات مختلفة.

و جل ما ذكروه عن المقاصد لا يعدوا أن يكون بيانا لوجوه المصالح التي تحققها الأحكام و تقيمها و لا يتجاوز المعنى اللغوي للقصد، في حين نجد عند الباحثين المعاصرين الذين اشتغلوا بهذا العلم محاولات عديدة لبيان مفهوم المقاصد.

حيث عرفها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بعد تقسيمه إياها إلى مقاصد عامة وأخرى خاصة فذكر أن المقاصد العامة هي :" المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة.

فيدخل في هذا : أوصاف الشريعة ، وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها . ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها . "

وقد ذكر من بين هذه المقاصد العامة : حفظ النظام ، وجلب المصالح ، ودرء المفاسد، وإقامة المساواة بين الناس، وجعل الشريعة مهابة مطاعة نافذة، وجعل الأمة قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال.

في حين عرف المقاصد الخاصة بقوله : " الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة ..ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس ، مثل : قصد التوثيق في عقد الرهن، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النكاح، ودفع الضرر المستدام في مشروعية الطلاق[9] " .

ثالثاً : محتوى مقاصد الشريعة الاسلامية

تعني مقاصد الشريعة الاسلامية ، المنظومة الشرعية لتفسير الاحوال والظروف والعادات نظراً الى فوائدها ومعانيها وحكمها وعللها ، و نستفيد من هذه الرؤى من زوايا عدة ، منها :

1. الاستنارة بالمقاصد في معرفة الأحكام الشرعية الكلية والجزئية من أدلتها الأصلية والكلية.
2. الاستعانة بمقاصد الشريعة في فهم النصوص الشرعية وتفسير الآيات الكريمة بما يلائم مع الوقائع المختلفة .
3. الاسترشاد بمقاصد الشريعة عند تحديد مدلولات الألفاظ ومعانيها، لتعيين المعنى المقصود منها لأن الألفاظ والعبارات قد تتعدد معانيها ، وتختلف مدلولاتها .
4. التحيكم إلى مقاصد الشريعة الاسلامية عند عدم وجود النص على المسائل والوقائع الجديدة .
5. إن مقاصد الشريعة أداة للترجيح بين الأدلة ، و المعاني المختلفة .
6. مقاصد الشريعة الاسلامية تعيننا لدراسة الاعراف والعادات للاقوام المختلفة .
7. معرفة العلل والحكم في التشريع ، و وسيلة لتجديد الفكر الديني ، و ايجاد الطرق الاخرى لتطبيق الشريعة على الوقائع المختلفة[10].

المبحث الثاني : مثبتات النظام الاجتماعي في ظل مقاصد الشريعه.

بعد الدراسة والنظر في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، نجد نصوص عدة - من باب ضرورة - وجود نظام اجتماعي في حياة الانسان ، و انه لابد منه لتنظيم علاقات الانسان داخل الاسرة والمجـتمع . وبنفس الدرجة من الأهمية تؤكد الآيات الكريمة على مثبتات أصيلة لادامة الحياة وسعادتها واستمرارية بقاء الانسان داخل منظومة اجتماعية نحو وصوله الى ذروة سنام من الأمن والاستقرار الذاتي والخارجي ، و من هذه المثبتات :

المطلب الأول : حفظ مبدأ التكريم.

لقد خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له ، تحيّةً لهذا المخلوق ، وذلك لما تختزنه الإنسانية في داخله من عناصر النموّ في سبيل التطور والتمدن والتحضر ، وخضوعاً لخالقه الذي كان هذا الإنسان مظهر قدرته ، وذلك لما يتميز به من قدرةٍ وعقلٍ ، منفتحاً على جوانب المعرفة كلها ، والتي تحتاجها الحياة في نموّها وتطوّرها وبلوغها إلى مستوى الأهداف التي أراد الله للإنسان تحقيقها ، وما يملكه من قابلياتٍ يحركها في قيادة الواقع ، والاستفادة من كل ما سخره الله له في الأرض والسماء ، من أجل أن تتوازن الحياة في المواقع المتنوعة التي يحمل كل منها خصوصية في الفكر والعمل والحياة .

وسر تكريم الانسان ليس في صياغة صورته الخارجية ، بل يكمن سر تكريمه في وجود العقل و العلم والقدرة على التنوع ، و الحركة في مجالات النمو والإبداع كلها .

بصورة عامة تكمن مظاهر تكريم الله للإنسان ككائن اجتماعي فما يأتي :

- خلق الله الإنسان بقدرته العظيمة وجعل الملائكة تسجد له وهذا يدل على المنزلة العـظيمة للإنسان عند ربهم .
- اختيار الله تعالى أحسن الصورة للانسان. اذ تميزه بالعقل والنطق ، فهو المخلوق الوحيد على هذه الأرض الذي يتميز بمقدرته العالية على التفكير والإبداع وكذلك التحدث .
- جعل الله الإنسان قادراً على التمييز ما بين الخير والشر، وجعل له الأحقية في اختيار الطريق التي يريد أن يمشي بها ؛ حيث إنه جعل الإنسان حراً، مع تحميله الأمانة العظيمة، وهي خلافة الأرض بما يحب ويرضى، وعبادته حتى ينال الثواب .
- هداية الإنسان إلى الدين الحقّ ، وإنزال الرسل والكتب السماوية حتى يتعلمه ويعمل به.
- جعل باب التوبة مفتوحاً له في جميع الأوقات والأحوال ، واستجابة دعائه وفقهه ، ورزقه بالمال والبنين.
- سخر الله السماوات و الأرض ومن عليها للإنسان ، وجعل كافة المخلوقات تخدم مصلحة البشر وخلق له كافة ما يمكّنه من العيش في هذه الدنيا والتعامل معها.
- قدرة الانسان على تزكية نفسه ، وذلك من خلال طاعة الله تعالى والقيام بعبادته بالشكل الذي يرضيه ، ويقوم بتطهير نفسه من كافة الأمور التي تسبب له الشقاء والبعد عن الخالق من خلال اجتنابه المعاصي .
- قيام الإنسان بالعمل الجاد والأخذ بالأسباب داخل منظومة اجتماعية ، والابتعاد عن الاستسلام والكسل ، فقيامه بعمله والتفكير بما ستحقق له أهدافه يجعله إنساناً متفوقاً وقادراً على الإنجاز والنجاح .
- اوجب الله الكثير من الاحكام على الانسان تكريما للآخرين واحتراماً لهم ، وهي كل ما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية بين البشر والتعاملات فيما بينهم ، من أمثال التحلي بالأخلاق الحميدة ومعاملة الناس معاملة حسنة ، وعدم الاعتداء عليهم أو تعريضهم للأذى والضرر، واحترام آرائهم وأفكارهم وعدم محاولة السيطرة عليهم أو إذلالهم . وصلة الأرحام ، والإحسان للوالدين، والعطف على الصغير بتقديم كافة ما يلزمه من احتياجات حتى يكبر ويستطيع العمل . المودة والرحمة التي تربط بين الزوجين . المحافظة على الروح البشرية وعدم إزهاقها دون وجه حق .

وزبدة القول أن التَّكريم الالهي للانسان هو اسم جامعٌ لكلِّ الخَيْر والفضائل التي تدفع الانسان وتثبته على منهج ونظام اجتماعي ، حيث يضمن سلامة نفسه وأسرته ومجتمعه ، وذلك لان تكريم الإنسان في القرآن الكريم ليس تكريماً لِذَاته الإنسانية فقط ، وانما تكريمٌ لِدَوره في إعمار الأرض كما يقول سبحانه وتعالى ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (سورة هود 61) . والاعمار بنوحيه : العباد والبلاد ، يعد مقصد من مقاصد وجود النظام الاجتماعي ، واحدى مثبتاته الاساس .

بناءاً على هذا المثبت الاول لتثبيت النظام الاجتماعي :

هو شعور الانسان بأنه مكرم ومحترم من قبل الله تعالى ، وانه رازقه وخالقه ومدبر أمره ، بحيث لا يمكن للانسان ان يكون عبداً لغير الله تعالى خوفاً على ماله وأولاده ومستقبله.

المطلب الثاني : حفظ التعاون والمساهمة البناءة.

التعاون في اللغة :

من العون : أي الظَّهير على الأمر ، وأعانه على الشَّيء : ساعده ، واستعان فلانٌ فلانًا ، وبه: طلب منه العون . وتعاون القوم : أعان بعضهم بعضًا [11].

معنى التَّعاون اصطلاحًا: يعرف التعاون بأنّه آلية متميّزة يتشارك بها عدد من الأفراد من أجل الحصول على نتيجةٍ مشتركةٍ وفعّالة وإيجابية ، وهذا التعاون يشمل جميع مجالات الحياة ؛ سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعلمياً وعملياً فذلك يــزيد من قوة المجتمع ويجعله في قمة عالــية من الأخلاق[12].

و في الشريعة الإسلامية نصوص مشجعة على التّحلي بالأخلاق الحسنة ، منها خلق التّعاون وهو من أفضل الأخلاق الّتي يتقرّب بها العبد إلى الله تعالى ، تعاون مبنيّ على البرّ والتّقوى ، لا الإثم والعدوان ، كما يقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة 2).

و يفهم من الآية الكريمة ان التّعاون من القيم الإنسانيّة العظيمة ، و إن العلاقة التعاونية البناءة كفيلة بتقديم مساهمة كبيرة في دعم الجهود التي يبذلها الانسان من أجل تحقيق سلامة النفس والمجتمع .

وفي نظر الرؤية المقاصدية يعد التّعاون بين النّاس ضرورةٌ من ضروريّات الحياة و لا يمكن الاستغناء عنه لأن الإنسان بطبيعته يحبّ الاجتماع ، ولا يحبّ أن يبقى لوحده منفرداً ، بل إنّ الإنسان بطبعه وبفطرته الّتي خلقه الله عليها، ميّالٌ إلى حبّ الاختلاط مع أبناء مجتمعه ، فإنّ كلّ إنسانٍ محتاجٌ إلى الآخر في الكون ، كي يقوى ويصلح ، فلا بدّ من التّعاون بين جميع الأفراد فيما بينهم .

و بصورة عامة تكمُن أهمية التعاون في المنظومة الاجتماعية فيما يأتي:

- فالتعاون سبيلٌ لمحبّة كل فرد للفرد الآخر، وتقدم له جميع السبل الممكنة لمُساعدته ؛ فذلك يُقوّي المجتمع ويجعله ذا هيبةٍ أمام كل من أراد بالمجتمع ظلاماً دامساً .
- التعاون البناء يشجع الفرد الى زيادة العلم والمعرفة في المجتمع ؛ فالتعاون يُساهم في مناقشة الأفكار العلمية والمعارف الثقافية بين الأفراد وبالتالي الزيادة عليها أو تصحيحها ، اذ نرى أنّ المجتمعات المُتعاونة تكون أكثر تطوّراً علميّاً وتكنولوجيّاً ، وأفرادها يكونون على مستوىً عالي من المعرفة .
- توفير الجهد وتقليل التعب الجماعي ، ويساعد الأفراد على تقليل ظاهرة الأنانية بين المجتمع والتي لها أثر سلبي على الفرد نفسه وعلى أفراد مجتمعه .

اذاً المثبت الثاني لتثبيت النظام الاجتماعي :

هو حضور هيئة التعاون والمساهمة البناءة ، كهيئة راسخة في طبائع الأفراد ، لأن التّضامن والتّعاون يدمج الفرد ببيئته ، ويُبعِده عن الانعزال ، ويُمكّنه من تحقيق معنى التّعاضُد أو ما يُسمّى بالجسديّة الواحدة ، ويُوفّر البيئة الملائِمة لنموّ الإنجاز التطبيقيّ والعلميّ . حيث لا يمكن لأيِّ مخلوق أن يواجه كلّ أعباء الحياة ومتاعبها منفردًا بل لابدَّ أن يحتاج إلى مَن يعاونه ويساعده؛ لذلك فالتَّعاون ضرورة من ضروريَّات الحياة، التي لا يمكن الاستغناء عنها . والملاحظ أنَّ نصوص الشَّريعة جاءت بالخطاب الجماعي فقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْاْ } وردت (89) مرَّة ، وقوله: { أَيُّهَا النَّاسُ } عشرين مرَّة ، وقوله: { بَنِي آدَمَ } خمس مرَّات ، دلالة على أهمية التَّعاون والمساهمة البنائة .

المطلب الثالث : التوصية بالاحسان.

الإحْسَان في اللغة : ضِدُّ الإساءة . مصدر أحسن أي جاء بفعل حسن[13].

و الاحسان في الاصطلاح :

هو إتقان العمل وتأديته بأكمل صورة ممكنة في واقع الحال . وهذا يعني بذل الجهود كافة لبناء النفس وإنارة الطرق للآخرين[14].

أما التوصية بالاحسان :

هي تبليغ و بيان الوسائل التي تؤدي الى نشر ثقافة الاحترام والثقة والمحبة والقيام بالاعمال الحسنة .

و بذلك يعد التوصية بالإحسان في الشريعة الاسلامية خُلقاً نبيلاً لمن يتحلّى به ، أذ أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتحلّي بأخلاق جميلة كالعدل وعدم الشرك بالله ، وإعطاء كلّ صاحب حقٍّ حقه ، والتوصية بالإحسان في تأدية الفرائض ، وفي معاملة الانسان مع نفسه ، ومع الاخرين قولاً وفعلاً . تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ (سورة البقرة 83) أي : التوصية بالخير والاحسان ، بناءً للعلاقات الجيدة مع الآخرين .

و تكمن أهمية التوصية بالاحسان في المنظمة الاجتماعية فيما يأتي :

أولاً : التوصية بالإحْسَان هى وسيلة المجتمع للرُّقي والتَّقدُّم والتطور الاجتماعي.

ثانياً : التوصية بالإحْسَان هي وسيلة لإزالة ما في النُّفوس مِن الكدر وسوء الفهم وسوء الظَّنِّ .

ثالثاً: التوصية بالإحْسَان إلى النَّاس سببٌ مِن أسباب انشراح الصَّدر و الذي يقوم بتوصية الآخرين ينشرح صدره أمام الصعوبات والمتاعب ، ويشعر بالرَّاحة النَّفسيَّة واطمئنانها .

رابعاً: التوصية بالاحسان يطفئ نار الحسد . وهو الداء الذي يهدم به العلاقات الاجتماعية . ويجعل من الفرد شخصية ضعيفة ، لا يقدر على تحمل أعباء الحياة وتربية نفسه والآخرين ، وهي من الأمور التي لا يلقاها الا صاحب صبر وتأني . و منه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة فصّلت 34-36)

و لذلك دعا الله تعالى الى الاحسان في الامور كلها كما قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (سورة القصص 77) .

بناء على ما سبق فان المثبت الثالث لتثبيت النظام الاجتماعي:

هو تفعيل مبدأ التوصية بالاحسان وتربية الفرد على الشعور بالمسؤولية امام نفسه وأسرته والآخرين ، لان التوصية بالخير والاحسان ، يؤدي الى :

اولاً : تربية الفرد وبناء شخصيته السوية .

ثانياً : يجعل الفرد يحس بقوته الابداعية والانتاجية .

ثالثاً : تساعد - التوصية بالاحسان - الاسرة في سلامتها وصحتها وإدارة أمورها بأحسن الحال .

رابعاً : تشجع المجتمع على تطهير نواته وأسسه وأنظمة تربيته ورؤيته لبناء مجتمع آمن .

المطلب الرابع : ملاحظة الظروف والاحوال المختلفة.

بعد عصر اكتمال التشريع واتساع مساحة الدولة الإسلامية ، ودخول أجناس وتقاليد ، واجه المجتمع الاسلامي أوضاعاً مختلفة ، و مسائل جديدة على المستويات كلها ، حيث دفع الاصوليين الى ضرورة البحث عن حلول وإجابات عملية لما يستجد من مشاكل أو وقائع ظهرت مع تطور الحياة واختلاف البيئات والعادات والظروف المتنوعة .

ولذلك يرى جمهور الفقهاء بان العرف مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وبذلك اصبحت الشريعة الاسلامية صالحة لكلّ زمانٍ ومكانٍ ، فلا تنفكُّ حادثةٌ عن حكمٍ لله تعالى فيها ، ولا نازلةٌ إلا ويجد الفقهاءُ في نصوصِ الشّريعةِ ومقاصدِها ما يدلُّ عليها ويبيِّنها[15] .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: « فاعلم أنّ ما جرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد؛ فليس في الحقيقة باختلافٍ في أصل الخطاب؛ لأنّ الشّرع موضوع على أنّه دائم أبدي لو فُرض بقاء الدّنيا من غير نهاية، والتّكليف كذلك؛ لم يحتج في الشّرع على مزيد، وإنّما معنى الاختلاف أنّ العوائد إذا اختلفت رَجَعَت كلُّ عادةٍ إلى أصلٍ شرعيٍّ يحكم به عليها « [16].

وقد عَقَدَ الإمامُ ابن القيم لهذه القاعدة فصلاً مهمّاً ؛ فقال: « فصلٌ في تغيّر الفتوى واختلافِها بحسب تغيّر الأزمنة والأمكنة والأحوال والنّيّات والعوائد » ، ثمّ قال مبيِّنًا أهميّتَها : « هذا فصل عظيم النّفع جداً، وقع بسبب الجهل به غلطٌ عظيم على الشّريعة؛ أوجب من الحرج، والمشقة، وتكليف ما لا سبيل إليه ؛ ما يُعلم أنّ الشريعة الباهرة الّتي في أعلى رُتَبِ المصالح لا تأتي به ، فإنّ الشّريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدلٌ كلُّها، ورحمةٌ كلُّها ، ومصالحُ كلُّها وحِكمةٌ كلُّها فكلُّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجَوْر وعن الرّحمة إلى ضدِّها ، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبَث ؛ فليست من الشّريعة ، وإن أُدخلت فيها بالتّأويل ، فالشّريعة عدلُ الله بين عباده ورحمتُه بين خلقه، وظلُّه في أرضه ، وحكمتُه الدالّة عليه وعلى صدق رسوله «[17].

و بناءً على ما سبق فان المثبت الرابع لتثبيت النظام الاجتماعي ، هو ملاحظة الظروف والعادات المختلفة داخل المنظومة الاجتماعية ، و ذلك من أجل :

أولاً: قراءة دقيقة للأعراف والعادات المتنوعة للأقوام المتغايرة .

ثانياً: ملائمة الشريعة الاسلامية مع التقاليد الغير المخالفة للنصوص .

ثالثاً: صياغة التقاليد الجديدة وانزالها على الوقائع والمستجدات .

رابعاً: تمتين دعائم النظام الاجتماعي المنسجم مع التقاليد السائدة .

خامساً: تسهيل السبل والوسائل التى تتحقق بها أهداف ومقاصد النظام الاجتماعي .

سادساً: يساعد فكرة اعتبار الظروف المختلفة ، الفقهاء والمختصين ، لصياغة مفردات النظام الاجتماعي الملائم مع تربية الافراد والأسرة .

المطلب الخامس : انشاء عقلية النقد الايجابي .

النقد في اللغة : هو بيان أوجه الحسن او العيب في الاشياء كلها ، و في اللغة الانكليزية كلمة نـقد هي (criticism) ، و هي مأخوذة من الكلمة اليونانية (krinein) : وتـعني حكم أو تفكير[18].

يُعرف مفهوم النقد اصطلاحاً : على أنه عبارة عن وسائل التعبير كافة ، و يكون النقد للإنتاجات البشرية كلها ، كالاجتماعيات ، و الأدب والشعر، والسينما ، والفنون ، والعلوم ، والآراء السياسية ، والاجتهادات الدينية والمقالات الصحفية ، وغيرها [19].

و عقلية النقد البناء هي القـيام ببناء شخصية الذات والآخرين داخل منظومة اجتماعية قوية بحيث ينظر الفرد الى السلوك كمتغير في الحياة لا كشيء ثابـت لا يتأثر بالظروف والاحوال المختلفة .

و من حسن إسلام المرء وايمانه تَرْكه ما لا يَعنيه ، ومما لا يَعنيه ما لا يَعِيه ، ومن فِطنة العاقل معرفة قدره و وزن قدْر مَن ينتقد ؛ إذ النقد وسيلة لغاية مقدرة بمقصد ، وترجيح وقته ومشروعيته في المُعيَّن والزمان ، مرتبط بمقتضى المصلحة الشرعية ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾ (النساء : 148) .

النقد البناء ما كان بعيداً عن الهوى والتعصب والأحكام المسبقة ، بل لابد أن يكون هناك تجرد وإنصاف و إذا كان النقد يسبب فتنة أو يحدث منكراً أعظم من السكوت فالتزام الصمت وترك النقد هو الأولى ؛ لأنه ليس من الحكمة أن تنتقد كل ما يحدث ويطرأ .

و بذلك ندرك بأن النقد الإيجابي شيء ثمين ومثمر، وليس النقد الإيجابي هو الثناء والمديح والتزكية ، ولكنه بذل جهد لوصف العمل والسلوك ، وذكر سلبياته وإيجابياته بوجه منضبط ، فهو الذي يدفع الوضع إلى الأمام ويعطي الإنسان قدرة على الإنتاج و التطور في المجتمع .

اذاً المثبت الخامس لتثبيت النظام الاجتماعي في الرؤية المقاصدية هو حفظ وبناء عقلية نقدية ايجابية لدى أفراد المجتمع لأنها :

أولاً: تدفع الفرد الى المشاركة الفعالة في نشاطات أسرته .

ثانياً: تزيد قوة الفرد وإيمانه بقضية الإنتماء الاسري والمجتمعي .

ثالثاً: العقلية النقدية الايجابية تحافظ على البنية االفوقية للدولة ، بحيث يساعدها للتمسك بنظام مستقيم وهادف نحو تحقيق الأمن والأمان .

رابعاً: النقد الايجابي يجدد الاعتصام بمبادئ التربية الرصينة .

الخاتمة

في نهاية البحث توصل البحث الى ما يأتي :

1. النظام الاجتماعي من الضروريات في حياة الفرد والأسرة والمجتمع .
2. لابد للنظام الاجتماعي معايير منضبطة ، وذلك من أجل حفظ التوازن الاجتماعي .
3. الشريعة الاسلامية وضعت قواعد ومباديء النظام الاجتماعي المنسجم مع طبيعة المجتمعات المختلفة .
4. في رؤية مقاصد الشريعة الاسلامية ، هناك مثبتات أصيلة لتثبيت النظام الاجتماعي وتجدده دائماً ، مراعياً الظروف والأحوال المختلفة
5. المثبت الاول لتثبيت النظام الاجتماعي ، هو شعور الانسان بأنه مكرم ومحترم من قبل الله تعالى ، وانه رازقه وخالقه ومدبر أمره ، بحيث لا يمكن للانسان ان يكون عبداً لغير الله تعالى خوفاً على ماله وأولاده ومستقبله .
6. المثبت الثاني لتثبيت النظام الاجتماعي ، هو حضور هيئة التعاون والمساهمة البنائة ، كهيئة راسخة في طبائع الأفراد ، لأن التّضامن والتّعاون يدمج الفرد ببيئته ، ويُبعِده عن الانعزال ، ويُمكّنه من تحقيق معنى التّعاضُد أو ما يُسمّى بالجسديّة الواحدة ، ويُوفّر البيئة الملائِمة لنموّ الإنجاز التطبيقيّ والعلميّ .
7. المثبت الثالث لتثبيت النظام الاجتماعي ، هو تفعيل مبدأ التوصية بالاحسان وتربية الفرد على الشعور بالمسؤولية أمام نفسه وأسرته والآخرين .
8. المثبت الرابع لتثبيت النظام الاجتماعي ، هو ملاحظة الظروف والعادات المختلفة داخل المنظومة الاجتماعية .
9. المثبت الخامس لتثبيت النظام الاجتماعي في الرؤية المقاصدية هو حفظ وبناء عقلية نقدية ايجابية لدى أفراد المجتمع .

المقترحات:

يقترح الباحث في نهاية المطاف ما يأتي :

1. على المراكز التربوية من المدارس والجامعات والمعاهد ، الاهتمام بتلك المثبتات ، والتي تساعد بدورها تفعيل الانظمة الاجتماعية الموجهة الى غايات تحقق بها السعادة الفردية والاسرية .
2. على الدولة ان يقوم بنشأة المراكز الخاصة لتوجيه الأسر الى النظام الاجتماع الهادف .
3. من الضروري في وزارة التربية ، ضوع مادة في المراحل الدراسية ، باسم مادة (الاجتماعية العملية) ، والتي تربي الاولاد تربية مستقيمة ، ولكي يكونوا في النهاية عنصراً هاماً في انسجة النظام الاجتماعي العام في البلد .

قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم :

1. الاجتماعية ودراسة التنظيم للسيد محمد الحسيني ، ط : الاولى / 1975 ، دار المعارف - مصر .
2. اعلام الموقعين عن رب العالمين ، لمحمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، ط : الاولى / 1991م ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .
3. الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهري ، ط: الرابعة ، 1990 ، دار العلم للملايين .
4. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار صادر / بيروت . 2003 ز .
5. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، سنة النشر: 1986 م ، الناشر: مكتبة لبنان .
6. المدخل لدراسة النظم الاسلامية ، للدكتور محمد رأفت سعيد ، ط : الاولى / 1409هـ ، مطبعة : دار العلم – جدة .
7. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لاحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت .
8. معجم نور الدين الوسيط ، للدكتور عصام نورالدين ، دار الكتب العلمية – بيروت .
9. مقاصد الشريعة الاسلامية للطاهر بن عاشور ، ط : الاولى / 1979 م ، الشركة التونسية للتوزيع .
10. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، ط : الثانية - 1993م ، دار الأمان – الرباط .
11. مناهج النقد الأدبي لانريك أندرسون إمبرت ، ترجمة: د. الطاهر أحمد مكي ، دار النشر: مكتبة الآداب ، سنة النشر: 1412 هـ - 1991 م .
12. الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، سنة النشر : 2003 م ، الناشر : دار ابن القيم- دار بن عفان .
13. موسوعة الاخلاق لخالد خالد بن جمعة بن عثمان الخراز ، ط : الأولى / 2009 م ، الناشر: مكتبة أهل الأثر - الكويت
14. النظام الاجتماعي في الاسلام لتقي الدين النبهاني ، ط : الرابعة / 2003م ، دار الامة – بيروت .
15. نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ط : الأولى ، الناشر : مطبعة سفير – الرياض
16. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي لمحمد مصطفى الزحيلي ، ط : الثانية / 2006 م ، الناشر : دار الخير – ديمشق .

الهوامش:

1. ينظر : لسان العرب لان منظور ، ماة (ثبت) ج2/ص19 .
2. ينظر : لسان العرب مادة (نظم) ج14/ص295 .
3. ينظر : المدخل لدراسة النظم الاسلامية ، للدكتور محمد رأفت سعيد ص4-6 .
4. ينظر : لسان لعرب مادة (جمع) ج 3 / ص197 .
5. ينظر : معجم نور الدين الوسيط ، للدكتور عصام نور الدين ، ص49 .
6. ينظر : النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم للسيد محمد الحسيني ، ط : الاولى / 1975 ، دار المعارف - مص ، ص 9-10 .
7. ينظر : النظام الاجتماعي في الاسلام لتقي الدين النبهاني ، ط : الرابعة / 2003م ، دار الامة – بيروت ، ص7-8 .
8. ينظر : لسان العرب مادة (قصد) ، ج 7/ ص355 . و مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي 2 / 24 و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لاحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي 504/2 .
9. مقاصد الشريعة الاسلامية للطاهر بن عاشور ، ص50 ، 154 .
10. ينظر : المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم ، ص106. 109 .
11. ينظر : لسان العرب مادة (عون) ، ج 6/ ص205 .
12. ينظر : موسوعة الاخلاق لخالد خالد بن جمعة بن عثمان الخراز ، ص441 .

13. ينظر : لسان العرب مادة (حسن) ، ج 113/ ص117 .
14. ينظر : نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ص10.
15. ينظر : الوجيز في أصول الفقه الإسلامي لمحمد مصطفى الزحيلي ، ص 267.
16. الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، ص 492 .
17. اعلام الموقعين عن رب العالمين ، لمحمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، ص12 .
18. ينظر : لسان العرب مادة (نقد) ج 12 / ص344 .
19. ينظر : مناهج النقد الأدبي لانريك أندرسون إمبرت ، ص 12-13 .